دراسة آراء الجاحظ حول الشعر و نقده

الدكتور رضا أماني*

أستاذ مساعد بجامعة علوم القرآن الكريم و معارفه – قم

يسرا شادمان

طالبة الدكتوراه – قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة العلامة الطباطبائي – طهران

الملخص

إن الجاحظ من أكبر النقاد و أصحاب الرأي في الأدب العربي شعره و نثره. فجاءت آراؤه في هذا الباب متناثرة بين آثاره لاسيما في كتابي البيان و التبيين و الحيوان و رغم أنّ له آراءً في الشعر و نقده مهدّت الأرضية لاستقلال النقد، في العصور الآتية غير أنه لم تكن للنقد في عصره أسس و مبادئ مدونة. و بهذا يعتبر الجاحظ من مؤسسي النقد الأدبي و نقد الشعر في تاريخ الأدب العربي و نقده.

و من المواضيع التي أدلى فيها الجاحظ بآرائه في الشعر و نقده يمكن الإشارة إلى أولية الشعر، و قيمة الشعر و أثره، و طبقات الشعراء، و الطبع و التكلف، و القديم و المحدث، و اللفظ و المعنى، و السرقات الشعرية و قضية الانتحال، و التشابه و الموافقة.

الكلمات الدليلية: الجاحظ، الشعر، النقد الأدبي، البيان و التبيين، الحيوان.

*. E-mail: r_amani2007@yahoo.com

تأريخ الوصول: ١٥/ ٠٢/ ١٣٩١ ؛ تأريخ القبول: ٠٩/ ٠٥/ ١٣٩١.

المقدمة

ولد الجاحظ في عصر ازدهار العلوم المختلفة في الحضارة الإسلامية و عندما احتظی المجتمع الإسلامي بالاستقرار السياسي و الاقتصادي و حينما دخلت الثقافتان الفارسية و اليونانية في الأوساط العلمية و الفكرية و تمتّع رجال العلم و الفكر بحرية التعبير، و عندما ظهرت نجوم كالأخفش، و زيد الأنصاري، و الأصمعي، و أبي عبيدة، و النظّام في سماء الأدب و العلم و الفكر، فتوافرت هذه الظروف حتی يظهر رجل فذ و شخصية كبيرة باسم الجاحظ الذي أصحاب الأدب يدعون بأنه أديب، و أصحاب اللغة يرونه لغويا، و المتكلمون يعتبرونه عالماً كلاميا و ...، و الكل علی صواب، لأن الجاحظ ألم بعلوم عصره إلماماً، و له في كل واحد منها يد طويلة. و نحن لم نبالغ إذا قلنا إنه أديب و كاتب و لغوي و سياسي و متكلم و معتزلي و عالم اجتماعي و عالم نفسي و عالم بالحيوان و النبات و الجماد.

ولكن الوجه الذي يهمّنا و نحن بصدده و نريد أن ننظر إلی الجاحظ من منظاره هو الشعر و نقده عند الجاحظ و بعبارة أخری نريد أن نعرّف القارئ بالجاحظ بأنه ناقد أدبي و صاحب رأي في الشعر و نقده. أشرنا و لو بشكل موجز و عابر إلی الظروف التي عاش فيها الجاحظ. و الآن نقول إن النقد كان من أهم و أبرز خصائص ذاك العصر.

و في ظل الحرية الشاملة للمجتمع العباسي في الدين و السياسة و الثقافة و الفكر و... ازدهر و اتسع النقد. فالحرية مهد للنقد. و واظب الجاحظ لهذه الفرصة السانحة له و استفاد منها خير استفادة. فتوسّع من علمه و خبرته و ثقافته حتی أصبحت أفكاره و آراءه مرآة تعكس المجتمع العباسي آنذاك واضحاً جليا.

و في هذا البحث الذي يحمل عنوان «دراسة آراء الجاحظ حول الشعر و نقده» تدرس كما يتضح من العنوان، آراء الجاحظ حول الشعر و نقده في آثاره، خاصة ما جاء في كتابي «البيان و التبيين» و «الحيوان». إذاً يتحدّد مجال البحث في دراسة الرؤی النقدية للجاحظ عن الشعر. فتطرح فيه الأسئلة التالية:

۱- هل يمكن اعتبار الجاحظ ناقداً أدبيا لاسيما في مجال نقد الشعر؟

۲- ما هو دور الجاحظ في مسار نقد الأدب العربي؟

۳- ما هي أهم القضايا النقدية التي تطرق إليها الجاحظ في آثاره؟

و يمكن ذكر الفرضيات التالية تبعاً للأسئلة السابقة:

١- يمكننا بالنظر إلى ما ورد في آثار الجاحظ حول النقد الأدبي أن نعتبره ناقداً أدبيا في الشعر و النثر، كما يمكن اعتباره من مؤسسي النقد الأدبي في الأدب العربي.

٣- من أهم القضايا النقدية التي درسها الجاحظ في آثاره حول الشعر يمكن الإشارة إلى مسألة أولية الشعر و قيمته و أثره، و كذلك طبقات الشعراء، و الطبع و التكلف، و القديم و المحدث، و اللفظ و المعنى، و غيرها من الموضوعات التي ستأتي دراستها خلال البحث.

فدراسة مثل هذا الموضوع تبين لنا حالة الأدب و الشعر و كذلك النقد الأدبي في العصر الذي عاش فيه الجاحظ و قبله، كما يعرّفنا ببعد آخر من شخصية الجاحظ الفريدة أي النقد الأدبي و الدور الذي أدّاه في مسار نقد الأدب العربي و استقلاله.

و كان من قبل، الباحثون درسوا شخصية الجاحظ و حياته و آثاره و أدبه مثل «الجاحظ (الأديب الفيلسوف)» (لمحمد محمد عويضة)، و «الجاحظ» (لحنا الفاخوري)، و «الجاحظ (في حياته و أدبه و فكره)» (لجبر جميل)، و لكن قلّما نجد باحثاً يرتكز على موضوع نقد الشعر و الأدب في آثار الجاحظ و آرائه. و إن أحد بادر إليه جاءت كلماته متناثرة غير متنسقة و مبوّبة مثل ما نجد في «البلاغة عند الجاحظ» (لأحمد مطلوب)، و «أدباء العرب (في الأعصر العباسية)» (لبطرس البستاني)، و «دراسات في نقد الأدب العربي» (لبدوي طبانة). فحاولنا من خلال هذا البحث و باستخدام الدراسات السابقة المرتبطة بالجاحظ و آرائه و خاصة كتبه مثل «البيان و التبيين»، و «الحيوان»، أن نستخرج آراء الجاحظ في الشعر و نقده و الأثر الذي تركه الرجل في مسار النقد الأدبي العربي و رقيه و استقلاله.

حياة الجاحظ الشخصية و الأدبية

الجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني أصيلاً أو مولى. كنّي بأبي عثمان، و لقّب بالجاحظ لجحوظ[1] عينيه. ولد حوالي سنة ١٦٠ للهجرة و عاش قرابة قرن من الزمان.و في أخباره (الحموي،١٩٨٠م، ج١٦: ٧٤). «أنّه كان يبيع الخبز و السمك بسيحان[2]». فبدأ الجاحظ يعيش حياة بسيطة و هو مع ضيق ذات يده لم يترك العلم و المطالعة. فكان يحضر في المسجد و في درس المسجديين. إذاً، نشأ الجاحظ في الطبقة الاجتماعية الفقيرة «فهو عصاميّ كان يعمل و يتعلم في آنٍ» (جبر،١٩٩٩م، ٢٢).

ثم اتصل بشيوخ العلم و أئمة الأدب فأخذ اللغة و الأدب عن أبي عبيدة و الأصمعي و زيد الأنصاري و النحو عن أبي الحسن الأخفش و الحديث عن حجاج بن محمد، و أبي يوسف صاحب

أبي حنيفة. و تخرج في الكلام و الاعتزال على أبي إسحاق النظام و قد تأثر الجاحظ بأستاذه هذا تأثراً بالغاً.

ثم خالط أعلام الترجمة و الكتابة و قرأ ما تيسر له من الكتب المترجمة و نحن لا نقطع «بأنه قرأ جميع ما ترجم أيام المنصور و الرشيد و البرامكة و المأمون» (أبوخشب، ١٩٦٦م، ٢٦٥) ذلك لأنه أولاً «لم يكن في أواخر القرن الثاني للهجرة مكتبات عامة» (بلّا،١٤٠٦م، ١١٣-١١٤) تجمع الكتب جميعها فكانت الكتب متناثرة بين أهلها و أصحابها، و ثانيا «إن الكتب كانت نادرة و غالية بحيث أن موارد الجاحظ لا تجيز له شراءها ... و أصدقاؤه و أساتيذه كانوا يضعون مكتباتهم الخاصة تحت تصرّفه» (آذرشب، ١٣٨٢ش، ٢٠٦).

و لم يدع الجاحظ علماً معروفاً في أيامه إلا و نظر فيه و اطلع عليه، فقد درس الفلسفة و المنطق و الطبيعيات و الرياضيات و التاريخ و السياسة و الأخلاق و الفراسة، فاكتملت آلته. فإذا هو فقيه متكلم يتفلسف و يتمنطق. محدث و إن لم يؤمن بالحديث. بارع في الأدب و اللغة. راوية للأخبار و الأشعار. بحاثة عن الحيوان و النبات. نقاد للأخلاق و العادات، عالم بالفلك و الموسيقى و الغناء (البستاني، بلا، ٢٦٨). فكان الجاحظ ذا ثقافة واسعة جداً تجعل منه دائرة معارف حية، فقد وعى في صدره جميع معارف عصره من الأدب و الدين و العلم و الفلسفة. فلمّا اجتمع له قدر صالح من العلم و الأدب قصد بغداد و اتصل فيها بالكبار من رجال الدين و علماء اللغة (الفاخوري،١٩٥٣م، ١٦). أصيب الجاحظ بالفالج و النقرس[٣] في أواخر عمره و اشتدت وطأة السنين على الجاحظ و وهنت قواه، فعاد إلى البصرة و لزم بيته. مات الجاحظ معلم العقل و الأدب في المحرم سنة ٢٥٥ بالبصرة (الحموي،١٩٨٠م، ج١٦: ١١٣).

إن الجاحظ من أكثر الكتاب تأليفاً و أغزر المؤلفين إنتاجاً بين مؤلف كبير ورسالة صغيرة فقد طرق و عالج مختلف العلوم و شتّى الفنون فكتب عن موضوعات و أغراض عديدة فكتب عن الأدب و الشعر و الديانات و العقائد و الإمامة و النبوة و المذاهب الفلسفية. و بحث السياسة و الاقتصاد و الأخلاق و طبائع الأشياء. و تكلم عن العصبية و تأثير البيئة و نظر في العلوم التاريخية و الجغرافية و الطبيعية و الرياضية فكتب في المدن و الأمصار و المعادن و جواهر الأرض، و الكيمياء و النبات و الحيوان و الطب و الفلك و الموسيقى و الغناء و كتب في الجواري و الغلمان و العشق و النساء و النرد و الشطرنج و غير ذلك مما يتناول الحياة الاجتماعية و الأدبية و العلمية في عصره و قبل عصره.

آراء الجاحظ حول الشعر و نقده

ليس الشعر – في رؤية الجاحظ– كلاماً موزوناً كما زعم بعض النقاد و دارسي الأدب في عصره و بعده. و يبدو أنه كان على علم بأوزان الشعر التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى بعد ولادة الجاحظ بزمن قصير. و نراه يشير إلى أسماء البحور الشعرية و التفعيلات التي اعتمدها الخليل. و يستفاد من كلامه عن الخليل أنه لم يكن راضيا عنه و لا عن دوائره و أوزانه (الجاحظ، ١٩٦٨م، ج٧: ٦٥). و نسمعه يقول في هذا الصدد: «و يدخل على من طعن في قوله: «تبت يدا أبي لهب» و زعم أنه شعر لأنه في تقدير مستفعلن مفاعلن. و طعن في قوله في الحديث عنه: هل أنت إلا أصبع دميت؟ و في سبيل الله ما لقيت. فيقال له: أعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس و خطبهم و رسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن كثيراً، و مستفعلن مفاعلن. و ليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً.

و لو أن رجلاً من الباعة صاح: من يشتري باذنجان؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات. فكيف يكون هذا شعراً و صاحبه لم يقصد إلى الشعر و مثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام. و إذا جاء المقدار الذي يعلم أنه من نتاج الشعر و المعرفة بالأوزان و القصد إليها، كان ذلك شعراً...» (الجاحظ، ٢٠٠٠م، ج١: ١٩٥).

فالكلام الموزون لايعد شعراً إلا إذا قصد صاحبه إلى نظمه و صناعته على أنه شعر، و إلا إذا كان مقدار هذا الكلام الموزون كافيا لاعتباره شعراً، أما إذا تخلل الحديث أو الكلام بعض جمل موزونة بصورة عابرة و دون عمد فلا ندعوها شعراً. و يؤكد رأيه بقصة حدثت على مرأى منه: «لقد سمعت غلاماً يقول لصديق له، و كان قد سقى بطنه، يقول لرفاقه، اذهبوا بي إلى الطبيب و قولوا قد اكتوى. إن وزن هذا الكلام هو: فاعلاتن مفاعلن فاعلاتن مفاعلن، مرتين. هذا الغلام لم يخطر على باله قط أن يقول الشعر، و لذلك لن نعد كلامه شعراً» (م ن، ج١: ١٩٥).

بل «إنّ الشعر صناعة و ضرب من النسيج و جنس من التصوير» (الجاحظ، ١٩٦٨م، ج ٣: ١٣٢). هذه هي حقيقة الشعر عند الجاحظ. و هو لا يعني بالصناعة كون الشعر نتيجة العمل و الاجتهاد و الإرادة و وليد التلقين و الرياضة. إنه يؤكد على أن الشعر طبع أو موهبة، و إن من حرم منها لايستطيع أن ينظم الشعر أبداً. إنه يعني بالصناعة الصياغة أو فن تركيب الكلام و سبكه في تعابير و أوزان، و من هنا جاء تشبيهه للشعر بالنسيج. فكما أن الثوب يتألف من خيوط تصف طولاً و

عرضاً لتشكل لحمته و سداه، هكذا القصيدة هي مجموعة أبيات مؤلفة من رصف ألفاظ تشكل الصنيع الفني الرائع.

ثم إن الشعر جنس من التصوير لأنه يعتمد اعتماداً كبيراً على الخيال الذي يبدع الصور الخلابة. و إن شعراً يخلو من التصوير و التشبيه و الاستعارة و ما إليها لهو أقرب إلى النظم منه إلى الشعر.

و هكذا يغدو الشعر – بنظر الجاحظ– قائماً على أركان أربعة، الطبع و الصياغة اللفظية و الوزن و التصوير. و قد لخص هذه الأركان التي تشترك في تكوين الشعر بقوله: «و ذهب الشيخ إلى امتحان المعنى، و المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي و العربي، و القروي و البدوي. و إنما الشأن في إقامة الوزن و تخير اللفظ و سهولة المخرج و كثرة الماء، و في صحة الطبع و متانة السبك. فإن الشعر صناعة وضرب من النسج و جنس من التصوير» (الجاحظ، ١٩٦٨م، ج٣: ١٣١، ١٣٢).

و يشير إلى سبك ألفاظ الشعر أو تلاحمها على نسق معين حيث يقول «و أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً، و سبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان» (الجاحظ، ٢٠٠٠م، ج١: ٧١).

١– أولية الشعر

و قد تحدث الجاحظ عن أولية الشعر و رأى أنّه حديث العهد، فيرجع بداته في الأدب العربي إلى امرئ القيس و المهلهل، كما يرجع جذوره إلى أرسطو و أفلاطون في الأدب اليوناني القديم العريق قائلاً: «و أما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله و سهل الطريق إليه في الأدب العربي امرؤالقيس بن حجر، و مهلهل بن ربيعة، و كتب أرسطو طاليس و معلمه أفلاطون ثم بطلميوس و فلان و فلان قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور و الأحقاب، و يدلّ على حداثة الشعر قول امرئ القيس بن حجر:

إنّ بني عَوفٍ ابتنُوا حِصناً ضيعه الداخلونَ إذ غَدروا
أدوا إلى جارِهم خفارتَهم و لم تضيع بِالغيب مَن نَصَروا

(الجاحظ، ١٩٦٨م، ج١: ٧٤)

و قوله في نص آخر: «و إذا استظهر بغاية الاستظهار فمائتي عام» (م ن، ج٢: ١٠).

و قوله في موضع آخر: «و قد قيل الشعر قبل الإسلام في مقدار الدهر أطول ما بيننا اليوم و بين أول الإسلام» (م ن، ج٦: ٢٧٧). ففي النص الأول يرى أن عمر الشعر الجاهلي مائة و خمسون سنة، و في الثاني يرى أن عمره مائتا سنة، ففي الثالث جعله مائتين ونيفاً، على أن في تقديريه الأخيرين بعض المبالغة.

٢- قيمة الشعر و أثره

ما هي قيمة الشعر؟ هل له وظيفة اجتماعية أو خلقية أو تثقيفية إلى جانب قيمته الفنية؟ هل يطلب منه الاضطلاع بهذه الوظائف جميعاً؟ هذا ما سنحاول استجلاء رأي الجاحظ فيه.

يقول أبوعثمان إن للشعر فائدتين: فائدة للشاعر و المادح و فائدة للممدوح. أما فائدة الشاعر فتكمن في إبراز عبقريته أو موهبته، و في كسب الجوائز و الهبات. أما فائدة الممدوح فترجع إلى تخليد مآثره و ذكره على مرّ الأيام. و وظيفة التخليد هذه هي التي اهتم بها العرب في العصر الجاهلي. بحيث إنهم اعتمدوا على الشعر لتوفير هذه الناحية بينما آثر العجم البناء لتخليد ذكرهم (الجاحظ، ١٩٦٨م، ج١: ٧٢).

و ثمّة وظيفة ثانية للشعر هي التثقيف، و ذلك بفضل ما ينطوي عليه من معان عميقة و صحيحة. و لكن الكتب المنثورة أفضل من الشعر للقيام بهذه المهنة لأنها أقدر على استيعاب المعارف من الشعر على الرغم مما تتعرض له من تحريف و تصحيف أثناء النقل و الترجمة و الاستنساخ.

فالجاحظ يفضل النثر على الشعر، و إن كان الشعر أسهل حفظاً فالنثر أقدر على التعبير عن العلوم و الحكمة التي ينتفع بها الناس. ثم إن الشعر يقتصر نفعه على فئة من الناس بينما يعم نفع الكتب الناس جميعاً (م ن، ج١: ٨).

و ثمة وظيفة ثالثة للشعر اجتماعية الأثر. لقد لعب الشعر دوراً هاماً في حياة العرب. فهو الذي أشاد بمثلهم العليا كالمروءة و الكرم و الشجاعة و اتخذوه أداة للصراع السياسي و الفكري. و قد أورد الجاحظ أخباراً عديدة تدل على أهمية الشعر الاجتماعية و مدى تأثيره في الناس. فهو يحدثنا «أن بني نمير كانوا يفتخرون بنسبهم، فإذا سئل أحدهم: ممن الرجل؟ قال: نميري. و ظلوا على هذه الحال حتى هجاهم جرير قائلاً:

فغضَّ الطرفَ إنّك مِن نمير ... فلا كعباً بلغتَ و لا كلابا

فصار الرجل منهم إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: من بني عامر!» (الجاحظ، ٢٠٠٠م، ج٣: ٢٦٨).

و يخبرنا «أن بني أنف الناقة كانوا محتقرين من الناس حتى كـان أحـدهم يخجـل أن يتعـرّف بنسبه، فإذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: من بني قريع. و ظلوا على هذه الحال حتى مـدحهم الحطيئـة بقوله:

قـومٌ همُ الأنفُ و الأذنابُ غَيرهم　　　و مَن يساوي بِأنفِ النّاقة الذّنَبا

و صار الرجل منهم إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: من بني أنف الناقة» (م ن، ج۳: ۲٦۹).

و يروي خبراً طريفاً خلاصته أن شاعراً جاء سيد بني مازن يسأله أن يسعى في رد إبله التي أغـار إليها بنو يربوع، فأجهش السيد بالبكاء لأنه لايستطيع تلبية طلب الشاعر و قال: و كيف لا أبكي و قد استغاثني شاعر من شعراء العرب فلم أغثه. و الله لئن هجاني ليفضحني قوله، و لئن كـفّ عـني ليقتلني شكره. ثم نهض فصاح ببني مازن فردت عليه إبله (م ن، ج۳: ۲۷۱).

و بلغ من خوف العرب من الهجاء أنهم كانوا إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق، و ربما شدّوا لسانه بنسعة لكي لايهجوهم «و ينصح باتقاء لسان الشعراء بالمال لأنهم سخروا شعرهم للتكـسب، لأن الأغراض أغلى بكثير من المال» (الجاحظ، ۱۹٦۸م، ج۵: ۲۹٤).

و أما وظيفة الشعر الفنية فلم يغفلها الجاحظ، و نحن نكتشفها من خلال كلامه، فهو يقص علينا خبر النبي محمد (ص) مع الشاعرة ليلى بنت النضر بن الحارث بن كلدة، و أنـه يطـوف بالبيـت فاستوقفته و جذبت رداءه حتى انكشف منكبه و أنشدته شعرها الذي قالته في مقتل أبيها. فلما سمع كلامها تأثر به غاية التأثر و قال: لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته» (الجـاحظ، ۲۰۰۰م، ج۳: ۲۷۳).

و إنّ للشعر وظيفة نفسية هامة. إنه يثير بعض العواطف و يلطف بعضها الآخر. و توضيحاً لهذه الحقيقة يخبرنا الجاحظ «أن شيخاً من الأعراب تزوج جارية من رهطه و طمع في أن تلد لـه غلامـاً فولدت له جارية فهجرها و هجر منزلها و صار يأوي إلى غير بيتها، فمرّ بخبائها بعد حول و إذا هي ترقص بنتها منه و تنشد:

مـــا لأبي حَمزةَ لا يأتينـــا　　　يظلُّ فِي البيت الّذي يلينا

غَضبـــانَ ألّا نَـــلدَ البَـنينا　　　تَاللهِ ما ذلك فِي أيدينا

و إنّما نأخذُ ما أعطِينا

فلمّا سمع الشيخ الأبيات عرج على بيت امرأته مسرعاً و دخل الخباء و قبّل بنتها و قال: ظلمتكما و ربِّ الكعبة!» (الجاحظ، ۲۰۰۰م، ج۳: ۲۷۳).

٣- طبقات الشعراء

ليس الشعراء جميعاً في مرتبة واحدة من حيث الجودة، فيقسمهم الجاحظ إلى أربع طبقات: «فأولهم الفحل الخنذيذ، و الخنذيذ هو التام، و دون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق، دون ذلك الشاعر، و الرابع الشعرور» (م ن، ج٢: ٨).

و يروي الجاحظ عن بعض العلماء أن «طبقات الشعراء ثلاث: شاعر و شويعر و شعرور» (م ن، ج٢: ٩).

٤- الطبع و التكلف

إنّ بعض الشعراء كانوا يعتنون بتنقيح شعرهم و تهذيبه و إعادة النظر فيه ضناً به و إشفاقاً عليه و رغبة في أن يأتي مستوي الجودة. و كان بعضهم يمكث في نظم القصيدة الواحدة و تنخّلِها حولاً كاملاً، و من هنا سميت قصائدهم بالحوليات و المقلدات و المنقحات و المحكمات. و من هؤلاء زهير بن أبي سلمى و الحطيئة. و لذا قال عنهما الأصمعي إنهما و أشباههما من عبيد الشعر. و كذلك كل من جود في جميع شعره و وقف عند كل بيت قاله و أعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية الجودة!

و أما الشعراء الذين لايهتمون بتحكيك شعرهم و لا يتكلفون فيه صنعة و لا يلتمسون قهر الكلام و لا اغتصاب الألفاظ فقد أطلق عليهم اسم الشعراء المطبوعين. و ليس معنى ذلك أن هؤلاء الشعراء الأخيرين هم وحدهم دون غيرهم أصحاب الطبع و القريحة في الشعر، و إنما يعني أنهم نعتوا بذلك لأنهم ينظمون الشعر دون اهتمام بصنعة بيانية أو تصفية أو تنقيح و هم تأتيهم المعاني سهواً و رهواً، و تنثال عليهم الألفاظ انثيالاً (الجاحظ، ٢٠٠٠م، ج٢: ١٠-١١).

٥- القديم و المحدث و العربي و المولّد

فرضت قضية الصراع بين القديم و المحدث و العربي و المولد نفسها على الجاحظ منذ بدأ سعيه في طلب العلم و الأدب على أيدي شيوخه من الرواة العلماء في البصرة و منذ تفتح ذهنه على نتاج المولدين من الشعراء.

و هو يعني بالشعر المولد ذلك الذي نظمه الشعراء المولدون الذين نشأوا في العصر العباسي من امتزاج العرب بغيرهم من أبناء الأمم الأجنبية و التزاوج الحاصل بينهم. و هو يذهب إلى أن عامة العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار و القرى من المولدة الناتية[۴] الذين ليسوا عرباً أقحاحاً. و لكن ليس كل شعر تفوه به العرب الخلص أجود من كل شعر نظمه المولدون. فهناك أشعار مولدة خير من أشعار قديمة و العكس بالعكس. فيقول: «فالقضية التي لا أحتشم منها و لا أهاب الخصومة فيها أن عامة العرب و الأعراب و البدو و الحضر من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار و القرى من المولدة و الناتية، و ليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه» (الجاحظ، ۱۹۶۸م، ج۳: ۱۳۰).

كما أنه كثيراً ما يدعو إلى البعد عن المحاباة و الهوى في نقد الشعر حتى يكون النقد موضوعيا معللاً قائماً على أسس تبعده عن التعصب، فإذا كان الحب يعمي عن المساوئ، فإن البغض يعمي عن الحقائق، و ليس يعرف حقائق مقادير المعاني و محصول لطائف الأمور إلا عالم حكيم، أو معتدل المزاج. و يؤكد هذا الاتجاه قوله عن طرديات أبي نؤاس «و أنا كتبت لك رجزه في هذا الباب، لأنه كان عالماً راوية، و كان قد لعب بالكلاب زماناً و عرف منها ما لا تعرفه الأعراب، و ذلك موجود في شعره، و صفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه، هذا مع جودة الطبع و جودة السبك و الحذق بالصنعة، فإن تأملت شعره فضلته إلا أن تعترض عليك فيه العصبية، أو ترى أن أهل البدو أبداً أشعر و أن المولدين لا يقاربونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحق من الباطل مادمت مغلوباً» (الجاحظ، ۱۹۶۸م، ج۳: ۲۷).

و يرى الجاحظ أن الفرق بين الشعر القديم و الشعر المولد يرجع إلى أن الشعراء القدامى نظموا الشعر عفواً و على الطبع دون تفكير و كدّ ذهن، بينما ينظم المولدون الشعر بنشاطهم و جمع بالهم (م ن، ج۳: ۱۳۲) و يعدّ من المطبوعين على الشعر من المولدين بشاراً العقيلي و السيد الحميري، و أبا العتاهية و ابن أبي عيينة و يقول بشّار أطبعهم كلهم (الجاحظ، ۲۰۰۰م، ج۱: ۵۹ – ۶۰).

۶– اللفظ و المعنى

و من أوليات المسائل التي أثارها الجاحظ ذلك البحث الفريد الذي عالج به مشكلة اللفظ و المعنى، و قد أثاره للمرة الأولى في حياة التفكير الأدبي عند العرب، تلك المشكلة التي عرض لها

دارسوالأدب و ناقدوه و الباحثون على العناصر الأساسية في العمل الأدبي و الخصائص التي يتميزبها، و يقوم أساس الإجادة فيها.

و يعنَى الجاحظ دائماً بصياغة الشعر، بادئاً بموادّها من الألفاظ، فهي تارة ألفاظ جزلة رصينة، و تارة ألفاظ عذبة رشيقة، و لكل لفظة موضعها من الكلام و من المعنى الذي تؤديه، و هو يصيح في البيان و التبيين و غيره من كتاباته: التلاؤم و مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أو بعبارة أخرى لسامعيه، يقول: «و كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا و ساقطاً و سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي» (م ن، ج١: ١٤٤). و دائماً يبدئ و يعيد في أن الأسلوب ينبغي أن يكون وسطاً بين لغة العامة و لغة الخاصة، و أن تشف الألفاظ عن المعاني حتى تلذّ الأسماع و القلوب، يقول: «أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره و معناه في ظاهر لفظه ... و إذا كان المعنى شريفاً و اللفظ بليغاً... صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة» (الجاحظ، ٢٠٠٠م، ج١: ٨٣). و أكثر الجاحظ من الحديث عن حسن الصياغة و جمال العبارات، و هو بحقّ، الذي أعدّ في قوة لشيوع أسلوب جديد في الكتابة، هو أسلوب الازدواج، و هو أسلوب يقوم على التوازن الدقيق بين العبارات بحيث تتلاحق في صفوف متقابلة، دون أن تتّحد نهاياتها على نحو ما هو معروف في السجع. هي تتقابل و تتعادل صوتيا، و لكن دون أن تحقق التوازن الصوتي المألوف في السجع، و مع ذلك تحقق ضروباً من الإيقاع، فالكلمات تتوازن و تتعادل. و كأن كل كلمة في عبارة تقابلها كلمة في العبارة التالية على شاكلة قوله: «لا أعلم قريناً أحسن موافاة، و لا أعجل مكافأة، و لا أحضر معونة، و لا أخفّ مئونة، و لا شجرة أطول عمراً، و لا أجمع أمراً، و لا أطيب ثمرةً، و لا أقرب مجنىً، و لا أسرع إدراكاً، و لا أوجد في كل إبّان من كتاب، و لا أعلم نتاجاً في حداثة سنّه، و قرب ميلاده، و رخص ثمنه، و إمكان وجوده، يجمع من التدابير العجيبة، و العلوم الغريبة، و من آثار العقول الصحيحة، و محمود الأذهان اللطيفة، ومن الحكم الرفيعة، و المذاهب القوية، و التجارب الحكمية، و من الأخبار عن القرون الماضية، و البلاد المتنازحة، و الأمثال السائرة، و الأمم البائدة، و ما يجمع لك الكتاب» (الجاحظ، ١٩٦٨م، ج١: ٤٢).

و بمثل هذا الأسلوب المتدفق الذي يحلّق به جمال الصوت من كل جانب دون أن يخرج به إلى تكلف السجع كان يؤلف و يصنف الكتب الطوال و الرسائل المتنوعة الموضوعات، دون أن تتأبى عليه كلمة أو صيغة، فقد أصبحت اللغة مرنة في لسانه و على قلمه إلى أقصى حدّ، لغة شفافة يشيع

فيها الوضوح، و هذا الأسلوب المصفّى الذي يروق الآذان و الأسماع بأصواته كما يروق القلوب و العقول بمعانيه و أفكاره. و دائماً تلقانا هذه الخصائص العامة لكتابات الجاحظ، إذ يعني دائماً بأسلوبه و سريان الإزدواج فيه و بألفاظه و صياغاته و ملاءماتها لمعانيها و موضوعاتها و قرّائها (ضيف، ۱۹۶۳م، ۵۹۴-۵۹۶).

فهذا من الناحية العلمية لأسلوب الجاحظ و مدى عنايته بالصياغة و الشكل. فلنرجع إلى حديثنا عن مشكلة اللفظ و المعنى و القول، بأنها لا تزال تلك المشكلة تشغل بال المعاصرين من نقاد الغرب، مع أن نقاد الأدب العربي قتلوها بحثاً في تلك العصور البعيدة بعد أن فطن الجاحظ للفكرة و أخذها عنه المتكلمون في أركان الأدب على اختلافهم في المنهج، و في أسلوب النظر إلى الأدب، و الاتجاه به اتجاهاً فنيا أو اتجاهاً عقليا، فكانوا بين مؤيد للجاحظ في نظريته التي تقوم على أن للفظ و الإبداع في الصياغة الشأن الأول في تقدير القيمة الفنية للعمل الأدبي، و معارض يذهب إلى عكس ما ذهب إليه الجاحظ، فيعمل المعنى كل شيء، و يحطّ من شأن الأسلوب، و يزعم أنه طلاء لا يقدر إلا بقدر متانة البناء، و ذاهب مذهباً وسطاً يرى أن المعاني و الألفاظ توأمان لا انفصال لأحدهما عن الآخر، و أن الألفاظ أوعية للمعاني و قوالب لها، و شبههما بالروح و الجسد، لا تعرف الروح إلا بتحيزها في أشكالها، و لا يقدر الجسد إلا بما استودع من سمو الروح و لطافة الحس (انظر: طبانة، ۱۹۸۹م، ۱۹۰-۱۹۱).

و هذا الرأي على مذهب من المذاهب كان الجاحظ أول من نادى به في نقد الأدب العربي، ذلك هو مذهب الصناعة، و الافتنان في الصياغة، و أن النظرة إلى الأدب ينبغي أن تكون إلى مقدار ما حوى من آثار الصنعة من جودة التشبيه و حسن الاستعارة و ابتكار الصورة التي يتميز صاحبها على غيره من الأدباء بمقدار ما تأنق فيها، وتعالى في إبراز الفكرة على هيئة غيرما عرف الناس و ما ألف الأدباء، و حينئذ يقرّ له النقاد بالتفوق و الانفراد.

و قد يكون في هذا الرأي قصد إلى الرد على علماء اللغة و النحو و العروض و الإخباريين الذين ينقدون الشعر، و هم لا يعرفون منه إلا جزئيات تلائم معارفهم الجزئية، أو المحدودة بحدود ثقافتهم، أما الجمال الفني الذي يودعه الأديب أدبه و يكسو به معانيه و أفكاره فلايفطنون إليه، و إنما يفطن إليه الأدباء و في طليعتم الكتّاب، و مصداق ذلك قول الجاحظ: «طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، و تعلق بالأيام و الأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا

عند أدباء الكتاب كالحسن ابن وهب و محمد بن عبدالملك الزيات» (ابن رشيق،١٤٠١م، ج١: ٨٤).

و بعد الوقوف على ما كتبه الجاحظ من الآراء النقدية يمكن القول بأنه يميل إلى الصنعة أو الصورة أو الشكل أو الفن في مصطلحنا الحديث، و سبب هذا عمله و اشتغاله بالكتابة، و الكتّاب تخلبهم الصورة و تستهويهم الصنعة، و ليس معنى ميله إلى تقدير الألفاظ الميل إلى الألفاظ المفردة، لا ثم لا، إنه يقصد الصنعة التي تشمل الألفاظ مركبة مؤلفة متناسبة، هذه هي الصنعة المقصودة عند الجاحظ.

و إنّ مقياس الجاحظ في ذلك هو وفرة المعاني كوصف الرجل الكريم بالبحر و الشجاع بالأسد، و ما أشبه ذلك، أما المعاني الجزئية التي يسميها عبدالقاهر بمعنى المعنى فليست هي المقصود بلفظ المعنى في نظر الجاحظ. كما أن الجاحظ يرى بجانب الألفاظ أشياء أخرى كثيرة منها: صحة الوزن، و كثرة الماء، و جودة السبك. لأنّ الشعر في نظره صياغة و ضرب من التصوير، فهو بذلك لم ينس الأسلوب و النظم حين ذكر السبك و الصياغة.

و هذا الاتجاه من الجاحظ يحتاج إلى شيء من التوضيح، فقد يظن أن الجاحظ بتفضيله الألفاظ يحطّ من قيمة المعاني، و يرى أنه لا قيمة لها، و إنما القيمة للتعبير وحده، و الحقيقة أن الألفاظ خدم المعاني وضعت للدلالة على الأفكار، فلولا الفكرة ما كان اللفظ، فحسن الألفاظ يستلزم حسن المعاني، فالجاحظ لم يرجح جانب الألفاظ من حيث هي ألفاظ، و إنما يرجحها من حيث ائتلافها مع معانيها و انسجامها مع ضخامتها، و هذا ما عبّر عنه أحياناً بالسبك و أحياناً بالصياغة.

و بهذا نستطيع أن نقول إن الجاحظ مهتم بالفن، مدافع عنه، و لا يدور في خلد أحد عند سماع ذلك أن الجاحظ يغض من قيمة المعاني و لا يعطيها حقها في التعبير.

و الذي يظهر مما تقدم أن استحسان الألفاظ و سبكها على رأي الجاحظ إنما وجهه إعطاء المعاني حقها من هذه الألفاظ بحسب مقاديرها، حتى يكون لها الأثر العميق، فالجاحظ لا يتهاون في وضع الألفاظ في مواضعها و يهتم في أساليب نقده بإعطاء الكلمة حقها، حتى يقع القول موقعه، و حتى يكون محموداً في جهة البيان، كما نستخلص مما مضى أن الجاحظ يعتبر من أكبر رجال المنهج الفني و التيار الأدبي، لإعطائه الألفاظ و المعاني حقهما، و قد دفعه هذا الاتجاه إلى طلب البعد عن الغلو في استعمال الألفاظ في تصوير المعاني و تخييلها و لا يريد منها إلا ما كان صادقاً.

۷- السرقات الشعرية و قضية الانتحال

و للجاحظ رؤية و رأي في قضية الانتحال و السرقات الشعرية قائلاً: «و على الرغم من حداثة الشعر، فإن الشعراء قلدوا بعضهم بعضاً حتى إنه لا نجد معنى غريباً أو شريفاً أو بديعاً أتى به أحد الشعراء إلّا و تعاوره الشعراء الذين عاشوا بعده أو معه. فإما أن يسرقوا المعنى و اللفظ معاً و يدعوه، و إما أن يسرقوا المعنى و بعض اللفظ، و إما أن يكتفوا بالمعنى فقط و يعتبرون أنفسهم شركاء فيه مع صاحبه الأول. و إذا سئلوا عن ذلك أجابوا أن المعاني مشاع لا يملكها أحد، و لا ينبغي أن يدعي ملكيتها أحد، أو احتجّوا بأنّهم لم يسمعوا ذلك المعنى قط، و إنما خطر على بالهم من غير سماع كما خطر على بال من سبقهم» (الجاحظ، ۱۹۶۸م، ج ۳: ۳۱۱).

فإنّ الجاحظ في حكمه طرق باباً من أبواب النقد ولجه النقاد من بعده و كتبوا فيه الأبحاث الكثيرة الطويلة، و هو باب السرقات الأدبية أو الشعرية، أمثال القاضي الجرجاني و الآمدي و ابن الأثير. و ذهبوا في تأويله مذاهب شتى بين محبذ أو متسامح أو مستنكر. و يبدو أن الجاحظ لم يكن راضيا عن هذه السرقات، و موقفه هذا يلوح من خلال قوله «و لا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام، و في معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلا و كل من جاء بعده من الشعراء أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى و يجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى من صاحبه، أو لعله أن يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط، و قال إنه خطر على باله من غير سماع كما خطر على بال الأول، هذا إذا قرعوه به ...» (م ن، ج۳: ۳۱۱).

و يشير الجاحظ موضوعاً خطيراً آخر و هو موضوع نحل الشعر، هذا الموضوع الذي أحدث ضجة في النقد الحديث، فهو يقول: «إنّ بعض المولدين ولدوا على لسان خلف الأحمر و الأصمعي أرجاز كثيرة فما ظنك بتوليدهم على ألسنة القدماء. و لقد ولدوا على لسان جحشويه في الحلاق أشعاراً ما قالها جحشويه قط. فلا تقذروا من شيء تقذروا من هذا الباب» (الجاحظ، ۱۹۶۸م، ج۴: ۱۸۱).

و أشار أبوعثمان في غير موضع من كتبه إلى ظاهرة الانتحال و ذكر أسباباً دعت إليها: منها أن يشق الأديب النابت لنفسه طريقاً بين الأدباء المشهورين بإثارة انتباه القراء إليه حين ينسب نتاجه إلى بعض كبار الأدباء السابقين عليه أو المعاصرين له. فإذا واتاه الحظ في الظهور صحح النسبة كما فعل

الجاحظ نفسه. و منها العصبية بأنواعها و ألوانها، مما يرد إلى العصبية الشعوبية (الجاحظ، ٢٠٠٠م، ج٣: ٢٩)، و مما يرد إلى العصبية القبلية. و مما يرد إلى المفاخرة التي نشأت بين الأجناس، و منها العصبية المذهبية. و منها رغبة بعض الرواة من المولدين في الانتقام من العرب (م ن، ج٢: ٢٣٧-٢٣٨).

و يرجع الجاحظ و ابن سلام قبله المعيار في الكشف عن الانتحال إلى الذوق الأدبي المدرب الذي يتوفر للناقد الرواية من خلال درسه للنصوص و معرفته بطبقات الكلام.

٨- التشابه و الموافقة

و يظهر من كتاب «البيان و التبيين» أن المتكلمين كانوا يعرضون للشعر و الشعراء، لقد فتح الجاحظ لهم فصولاً عرض فيها لما سماه «القِران» و ما نسميه نحن بالتسلسل المنطقي بين الأبيات (ضيف،١٩٦٤م، ٥٠)، يقول: «قال عمربن لجأ لبعض الشعراء:أنا أشعر منك! قال: و بم ذلك؟ قال: لأني أقول البيت و أخاه، و أنت تقول البيت و ابن عمّه» (الجاحظ، ٢٠٠٠م، ج١: ١٧٩). كما أن من مقاييس الجاحظ النقدية تحذيره الشاعر من بناء قصيدته على وتيرة واحدة، كالحكمة مثلاً لأنها تخل بالبنية العامة للقصيدة. و في هذا يقول الجاحظ: «لو أن شعر صالح بن عبدالقدوس و سابق البربري كان مفرقاً في أشعار كثيرة، لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات، و لصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق، و لكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالاً لم تسر، و لم تجر مجرى النوادر، و متى لم يخرج السامع من شيء، لم يكن لذلك عنده موقع» (م ن، ج١: ١٧٩-١٨٠).

النتيجة

إن ظروف الحياة الاجتماعية التي عاشها الجاحظ و كذلك حياته الشخصية و عبقريته و قدراته الذاتية جعلته من أكبر النقاد العرب في مختلف العلوم و المجالات منها الأدب و الشعر، فللجاحظ آراء و رؤى في الشعر و الأدب حيث يعتبر من روّاد النقد الأدبي و الشعر في تاريخ الأدب العربي ؛ من آراء الجاحظ في الشعر و نقده ما يلي:

١- ليس الشعر في رؤية الجاحظ كلاماً موزوناً فحسب، كما زعم بعض النقاد، بل الشعر صناعة و ضرب من النسيج و جنس من التصوير الذي يعتمد اعتماداً كبيراً على الخيال الذي يبدع الصور

الخلابة. فيقوم الشعر في رأي الجاحظ على أركان أربعة؛ الصبغة و الصياغة اللفظية و الوزن و التصوير.

٢- يعتقد الجاحظ بأن الشعر حديث العهد فيرجعه في الأدب العربي إلى امرئ القيس و المهلهل، كما يرجع جذوره إلى أرسطو و أفلاطون في الأدب اليوناني القديم.

٣- يرى الجاحظ أن للشعر قيما؛ منها فردية ترجع إلى الشاعر المادح و الممدوح، و منها اجتماعية كالتثقيف و الدور الذي يلعبه الشعر في حياة العرب و يشيد بمثلهم العليا كالمروءة و الكرم و الشجاعة. كما يذكر الجاحظ وظيفة أخرى للشعر فنية و وظيفة نفسية كذلك.

٤- ليس الشعراء كلهم في رأي الجاحظ في مرتبة واحدة من حيث الجودة فيقسمهم الجاحظ إلى طبقات مختلفة. كما يقسم الجاحظ الشعراء إلى من يعتنون بتنقيح شعرهم و تهذيبه و إعادة النظر فيه، فهم أصحاب التكلف و الصنعة. و من لايهتمون بتحكيك شعرهم و لا يتكلفون فيه صنعته فقد أطلق عليهم اسم الشعراء المطبوعين.

٦- و يقسم الجاحظ الشعر إلى القديم و المحدث. و يعني بالشعر المحدث أو المولد ذلك الذي نظمه الشعراء المولدون الذين نشأوا في العصر العباسي من امتزاج العرب بغيرهم من أبناء الأمم الأجنبية. و يعتقد بأن عامة العرب (أصحاب الشعر القديم) أشعر من عامة شعراء الأمصار من المولدة الناتية رغم أنه يدعو إلى عدم التعصب و البعد عن المحاباة و الهوى في نقد الشعر حتى يكون النقد موضوعيا.

٧- و مما طرقه الجاحظ في نقد الشعر معالجة مشكلة اللفظ و المعنى. و يعنى الجاحظ دائمًا بصياغة الشعر و يدعو إلى التلاؤم و مطابقة الكلام لمقتضى الحال و حسن الصياغة و جمال العبارات و أسلوب يكون وسطاً بين لغة العامة و لغة الخاصة.

٨- تحدّث الجاحظ في قضية الانتحال و السرقات الشعرية و يصفها بحالة مزرية و يرجع المعيار في الكشف عن الانتحال إلى الذوق الأدبي الذي يتوفر للناقد من خلال دراسته للنصوص و معرفته بطبقات الكلام.

٩- التشابه و الموافقة؛ يرفض الجاحظ وجود التسلل المنطقي بين الأبيات و الذي يسمّى في النقد بالوحدة الموضوعية. و يحذر الشاعر من بناء قصيدته على وتيرة واحدة، كالحكمة مثلاً.

فللجاحظ آراء و رؤى في الشعر و نقده تركت آثاراً عميقة في مسار النقد الأدبي و تاريخه حيث مهّد بها الطريق من أجل استقلال النقد الأدبي في العصور التالية.

الهوامش

۱- الجحوظ: النتوء، البروز.

۲- نهر بالبصرة.

۳- الروماتزم

٤- مخفف الناتئة و يعني بهم الطارئين.

المصادر و المراجع

- آذر شب، محمد علي، (۱۳۸۲ش). «***تاريخ الأدب العربي (في العصر العباسي)***»، تهران: منشورات سمت.

- ابن رشيق القيرواني، (۱٤۰۱ق). «***العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده***»، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت: دارالجيل، ط٥.

- أبوالخشب، إبراهيم علي، (۱۹٦٦م). «***تاريخ الأدب العربي (في العصر العباسي الأول)***»، دمشق: دار الفكر العربي، ط۱.

- البستاني، بطرس، «***أدباء العرب (في الأعصر العباسية)***»، بيروت: دار نظير عبود.

- بلّا، شارل، (۱٤۰٦ق). «***الجاحظ (في البصرة و بغداد و سامراء)***»، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دمشق: دار الفكر، ط۱.

- الجاحظ، (۲۰۰۰م). «***البيان و التبيين***»، تحقيق علي أبوملحم، بيروت: دار و مكتبة الهلال.

- الجاحظ، أبوعثمان عمروبن بحر بن محبوب، (۱۹٦۸م). «***الحيوان***»، تحقيق فوزي عطوي، دمشق: مكتبة محمد حسين النوري، ط۱.

- جبر، جميل، (۱۹۹۹م). «***الجاحظ (في حياته و أدبه و فكره)***»، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ط٤.

- الحموي، ياقوت، (۱۹۸۰م). «***معجم الأدباء***»، تحقيق أحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- درويش، محمد طاهر، (۱۹۷۹م). «***النقد الأدبي عند العرب***»، قاهرة: دار المعارف.

- ضيف، شوقي، (١٩٦٣م). «***تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)***»، قاهرة: دارالمعارف، ط٢.

- ــــــــــــ ، (١٩٦٤م). «***النقد***»، قاهرة: دار المعارف، ط٢.

- طبانة، بدوي، (١٩٨٩م). «***دراسات في نقد الأدب العربي***»، بيروت: دار الثقافة، ط١.

- الفاخوري، حنا، (١٩٥٣م). «***الجاحظ***»، مصر: دار المعارف.